الفصل الأول

العلاقة الوثيقة بين دعاة التحرر والاستعمار والتنصير

obeikandl.com

obeikandl.com

العلاقة الوثيقة بين دعاة التحرر والاستعمار والتنصير

هناك علاقة وثيقة بين دعاة التحرر والاستعمار بكافة أشكاله ؛ ثقافية وسياسية وعسكرية وتنصيرية ، وأخيرا دخلت المنظمات الدولية المضمار ، وهذه العلاقة ليست وليدة اليوم ، ولكنها نشأت منذ نشوء الحرب ضد الإسلام وما زالت وستستمر .

فدعاة التحرر هم آذان للاستعمار صاغية ، وألسنة للتنصير داعية ؛ ولذلك فعداوتهم للدين غير خافية ، وإن كان بعضهم حَسن النية ؛ إلا أنه كان كمطية فهذا هو قاسم أمين ، يصف الخديوى بالاستبداد ، ويصف الغرب بالحرية ثم يدعى أن مصر فى عهد الاحتلال الإنجليزى فى عدل وحرية لم تحدث من قبل فيقول :

« المرأة المصرية . . . فى نظر الشرع إنسان حر له حقوقه وعليه واجبات ، ولكنها فى نظر رئيس العائلة وفى معاملته لها ليست بحُرة بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية ، وهذه الحال . . . هى من توابع الاستبداد السياسى الذى يخضعنا ونخضع له ، ومع أن الاستبداد السياسى أصبح فى حالة النزع وأشرف على الفوات ، بحيث لا ترجى له عودة ، لا يزال الرجال عندنا يستبدون على نسائهم » (١) .

ثم يستمر فى الطعن فى نظام الحكم وتمجيد الغرب فيقول : « انظر إلى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة فى رق الرجل ، والرجل فى رق الحاكم ، فهو ظالم فى بيته مظلوم إن أخرج منه ثم انظر إلى البلاد الأوربية تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية فارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من اعتبار وحرية الفكر وحرية العمل » (٢) .

ثم يدعى أن حال مصر فى الاستعمار الإنجليزى هو قمة العدل والحرية فيقول : « نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر رأت ما يماثلهما فى

---

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص١٤ .

أى زمن من أزمانها ، وهما الأمران اللذان تحتاج إليهما الأمة أشد الاحتياج ، ولا يتيسر بدونهما نجاح عمل من الأعمال العظيمة التى يقوم بها صلاحها» (١).

وها هى « هدى شعراوى» تخطب فى مؤتمر الاتحاد النسائى الدولى فى روما خطابًا جاء فى مقدمته : « إنه ليسرنى حقيقة أن أرى نفسى بينكن فى هذه الجمعية المحترمة التى أمكنت المرأة المصرية أن تناقش فيها حقوقها لأول مرة فى التاريخ » . . . ثم ختمت خطابها بقولها : « والآن . . . أرجو أن تسمحن لى أيتها السيدات ـ هؤلاء مجموعة من المنصرات والراهبات ـ على طلبكن بإلحاح فى إبداء الرغبة فى إشراك المرأة المصرية فى هذا الاتحاد الجليل ، ولنا عظيم الرجاء فى أن نصل بفضل نصائحكن الغالية التى نعتبرها السبيل الهادى ، والنسج على منوالكن الذى نجد فيه خير كفيل إلى تحقيق آمالنا ورغباتنا ، ونضع تحت تصرفكن أنفسنا فى خدمة مبادئكن ونشر آرائكن » (٢) .

لقد نسيت « هدى شعراوى » أن التاريخ يسجل للمرأة المصرية ما لم يسجله لغيرها ، ففى عهد الفراعنة كانت كرامة المرأة مرفوعة حتى أننا نرى تماثيل تصور الملوك والفراعنة مع نسائهن جنبًا إلى جنب ، وكان من النساء من حكم مصر ، أما فى عهد الإسلام فقد حظيت المصريات بشرف إعزاز الإسلام لهن ، وما حدث من فترات ضاعت فيها حرية المرأة الحقيقية ، فالسبب هو الابتعاد عن تعاليم الإسلام ، والتمسك بالعادات الغربية ، التى جعلت « هدى » منصراتها وراهباتها هن القدوة وتخلت عن دينها. ونفسها . هذا وقد وضعت « هدى » نفسها تحت تصرفهن كما قالت .

« فى سنة ١٨٠٩م زارت مصر آنسة نابغة من فتيات أوربا تدعى « مدموازيل كليمان » اشتهرت بعنايتها بالشؤون الاجتماعية ، وعلى الأخص المتعلقة بالنهضة النسائية . . وتقول السيدة هدى هانم شعراوى أنها استضافتها ودعتها لحفلة فى الأوبرا الملكية ويسرت لها إلقاء محاضرة . . . وكان ذلك سببا فى تأليف جمعية

---

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة صـ٩٤ .

(٢) الشيخ سليمان محمد العودة : المرأة بين البيت والعمل ص٢١ ، ٢٢ ، ط . دار الخلفاء المنصورة .

« الرقى الأدبى للسيدات . الذى تسببت الحرب دون المضى فيها » (١) .

وعن ارتباط التنصير فى مصر بالعمل الأهلى والجمعيات الأهلية يقول د.يونان لبيب رزق : « إن هناك ثمة ارتباط وثيق بين العمل الأهلى الأجنبى والتبشير المسيحى فى مصر وقد أوضح مقال للأهرام ١ / ٤ / ١٩٠٣م أن هناك جمعيات أهلية أقامها مجموعة من الفضلاء لمساعدة البنات الفقيرات على الزواج . . ومن أسباب انتشار الجمعيات الخيرية : « زيادة نشاطات الجمعيات التنصيرية سواء فى مجال الخدمات التعليمية أو الصحية والتى استظلت بالحماية التى وفرتها لها الامتيازات الأجنبية كان فى طليعتها جمعيات التنصير الأمريكية والفرنسية والإيطالية ، وليس من شك أن تلك الزيادة قد أدخلت الجزع على نفوس المصريين . . مسلمين كانوا أو أقباطًا . . الأوائل ارتؤوا أن تلك الجمعيات التى تنشط بين فقراء المصريين إنما تسعى فى النهاية إلى تنصيرهم . والآخرون كانوا أكثر جزعًا فيما لا حظوه من أن الحذر الذى التزم به رجال تلك الجمعيات بالنسبة لتنصير المسلمين خوفا من ردود الفعل الشعبية قد تخلوا عنه بالنسبة للأقباط الأرثوذكس سعيًا وراء دفعهم إلى اعتناق مذاهبها البروتستانتية أو الكاثوليكية » (٢) .

والملاحظ أن : التعاون الوثيق بين الساسة والمنصرين من راهبات وقسس هو أسلوب قديم متجدد وثابت ، بدءًا من أول أمس واستمر لليوم وسيستمر إلى غد وبعد غد ، فمما جاء بمقال للأهرام فى ١٣ / ١ / ١٩٠٤م تحت عنوان «الملاجئ وأعمال البر فى عاصمة القطر » : « ملجأ العجزة . . هو ملجأ كانت تديره الراهبات الناذرات لخدمة العاجزين . . . . ومن عادة قرينات القناصل إقامة مأدبة لهؤلاء العجزة البائسين فى العام مرة يقمن فيه على خدمتهم » . . . . . « ملجأ

---

(١) د . يونان لبيب رزق: المرأة المصرية بين التطور والتحرر ١٨٧٣ ـ ١٩٢٣م ص١٦ ، المجلس القومى للمرأة بتصرف يسير ، وبالصفحة صورة ضوئية للسيدة هدى هانم شعراوى يتضح منها أنها فى سن التاسعة عشرة لم ترفع الحجاب فحسب ـ وهى أول من رفع الحجاب فى مصر ـ بل اتخذت زينتها كاملة من قص شعر ، وماكياج كامل شامل ، وهذا الأمر يوضح أن الهدف لم يكن رفع الحجاب ولكنه التبرج وبداية الفجور . مع العلم أنها مؤسسة الاتحاد النسائى المصرى .

(٢) د . يونان لبيب رزق : المرأة المصرية بين التطور والتحرر ص٣٣ ، ٣٤ .

اليتامى » . . أنشأته راهبات الراعى الصالح عام ١٨٥٤م . . . . « عيادة راهبات المحبة » اللاتى أنشأن مستشفى فى شارع عبد العزيز عالجوا فيه نحو ٣٥٠٠ مصرى . . . مجانًا .

أما التمويل فكان من حصيلة الأسواق الخيرية التى كانت تقام تحت رعاية قرينات القناصل العموميين . . والبنوك والشركات الأجنبية . . فاعل خير ، . . . الأشياء العينية التى تعطى بالسحب باليانصيب ومنها . . صورة للعائلة المقدسة مع إطار جميل ، ٥٠٠٠٠ سيجارة من أحد مصانع الدخان، صندوق كونياك ١٢ زجاجة ، ٩٦ زجاجة بيرة صغيرة ، علبة دهان ألوان . . صينية نحاس ، دبوس برنيطة . . »[1] .

ويجب الإشارة إلى أن تعاليم الإسلام « القويمة » التى سبقت تعاليم الغرب الفاضحة بالنسبة للمرأة لم تكن فى فكر هدى شعراوى ، كما أن النشاط التنصيرى كان دائمًا محميًا بالساسة والعسكريين ، وحتى جوائز الياناصيب الخيرى كانت جوائز شيطانية للدعوة إلى التقاليد الغربية المقيتة المميتة سجائر أجنبية ، كونياك ، بيرة ، إضافه إلى صور مسيحية .

ومازال المسلسل مستمرا ، فالعمل الخيرى تحول إلى جمعيات أهلية ، وحلت الأمم المتحدة بمنظماتها ومؤتمراتها « تآمراتها» محل عمل الساسة والقناصل الأجانب ، وتحولت جوائز الياناصيب والتمويل الأجنبى إلى صندوق نقد دولى، وإعانات دولية من المنظمات الدولية ، وتدخلت السياسة والقوة العسكرية فى سياسات الشعوب للدعوة إلى نبذ الدين تحت مسمى ظلم الدين الإسلامى للمرأة، وتدخلت للضغط على الشعوب الإسلامية لتنتهج ما ترغبه هى من أحكام للنساء ؛ وذلك بهدف جعل المرأة معول هدم للمجتمع لا صرح بناء .

وآخر هذه الحلقات مبادرة وزير الخارجية الأمريكى « كولن باول » لهدم الدين باسم تحرر المرأة ، حيث تقدم الوزير بمبادرة أطلق عليها « مشروع الشراكة من أجل الديمقراطية والتنمية » ، وقد أوضح فى هذا المشروع تدنى مستوى المرأة التعليمى والاقتصادى والاجتماعى ، وعدم حصولها على حريتها الكاملة ، وهذا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧ .

من أسباب تفشى الإرهاب، وعلى ذلك يجب مساعدتها لتحقيق ذاتها وحريتها الكاملة ، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم رصد مليارات الدولارات .

وقد كشفت جريدة الأسبوع المصرية فى العدد (٣٠٦) الصادر فى١٢/١/٢٠٠٣ م عن خطة أمريكية لتغيير الخطاب الدينى الإسلامى ، والتدخل فى شؤون الدين والتعليم الدينى ووظيفة المسجد فى الإسلام عمومًا وفى مصر خصوصًا ، باعتبارها قلب العالم الإسلامى ورئتيه وفكره ووجدانه . وجاء فى هذه الخطة ما يلى :

« تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية بها هيئة خاصة لتنشيط دور المرأة اجتماعيا . . . فإن إحدى المشكلات الأساسية التى تواجه المرأة فى ممارسة أدوارها السياسية والاجتماعية ، هو عدم وجود مؤسسات تدعم عمل وأنشطة المرأة فى حين أن ذلك يتوافر للرجال بصفة أساسية » .

كما تقول الخطة : « إن المساجد تلعب دورًا كبيرًا فى الانتخابات بجميع أنواعها وأن المرأة يجب أن تمارس دورها فى الدعاية الانتخابية من خلال المسجد، بعد أن جرى الحظر عليها كثيرًا فى أوقات سابقة ، وإن تحويل المسجد من مؤسسة دينية إلى مؤسسة اجتماعية سوف يساعد كثيرا فى تحقيق المد الديمقراطى وممارسة المرأة لدورها ، وأن تطوير الخطاب الدينى يستوجب أن يكون للفتيات والمرأة دور هام فى ممارسة الخطابة الدينية ، وألا تكون مقتصرة على الرجال فقط ، بل يجب أن يكون للمرأة دورها فى خطبة الجمعة ، مما يكرس مفهوم إزالة التفرقة ـ الغير مبررة ـ بين الرجال والنساء ، خاصة وأنه لا توجد نصوص دينية تحرم على المرأة أن تتولى خطبة الجمعة وقيادة الرجال فى الصلاة ».

وأخيرًا : وليس آخرًا ، احتلت الولايات المتحدة الأمريكية العراق واصطحبت معها آلاف المنصرين للدعوة للمسيحية والادعاء بأنهم جاؤوا العراق لنشر الديمقراطية رفع مكانة المرأة .

وقبل مغادرة المقام نود الإيضاح أن أغلب الداعين لتحرر المرأة من أصحاب المناصب وأساتذة فى جامعات الغرب أو موظفون فى الأمم المتحدة ، أو رؤساء جمعيات أهلية ، أو فى المجالس القومية المتخصصة التى تهدف إلى إعطاء المرأة حقوقها ، لا كأحكام الإسلام الحنيف ولكن كأحكام الغرب العفن .